

المحاضرة الثانية

مراحل الدعوة :

لم يبدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته جهراً .. وإنما بدأ بأسلوب النبوة في الدعوة ، ولنا في رسول الله أسوة حسنة ..

مرت الدعوة بثلاث مراحل .. الأولى سرية والثانية جهرية مع الكفاية بل بدؤوا بتبليغ الدعوة بدون اشتباك أو قتال .. أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة جهرية مع قتال المناوئين والمشككين والمعادين للنبي عليه الصلاة والسلام

المرحلة الأولى : المرحلة السرية

لو سألنا أنفسنا : هل النبي بدأ الدعوة السرية خوفاً على نفسه من أن يقتل مثلاً؟!!!

نحن نقول : لا ، لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم خائفاً على نفسه .. وإنما كان ذلك خوفاً على الدين الكريم ، ولأن الرب أوحى إليه بأن تكون الدعوة هكذا بهذه الكيفية وبهذه الطريقة .

وكون النبي يبدأ دعوته سراً فلذلك عبرة وحكمة وموعظة ، ومن ذلك ضرورة الأخذ بالحيطة والحذر في كل شيء ، يجب ان تكون نبيهاً ، يجب أن تكون محتاطاً ، يجب ان تحسب لكل شيء حسابه ، قبل أن تبدأ يجب أن تعمل كل الاحتمالات وتخطط وتنظم وتتوقع كل شيء وتكون في غاية الحيطة والحذر ، ولا بد أيضاً أن تاخذ بالأسباب ، ذلك ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم أن شرع لنا بالحيطة والحذر في كل شيء ، وأن وأن نحسن اختيار الزمان والمكان والوقت في اعمالنا .

ونأخذ بالمسببات والأسباب أيضاً ، لا نطمح هكذا بدون أن نأخذ بكل الوسائل والاخذ بكل الأسباب والمسببات .

وكلنا نعرف بان الأخذ بالمسببات لا ينافي التوكل أبداً ..

هذا العمل وكوننا نفتدي بالنبى صلى الله عليه وسلم في أعماله هذا شيء من السياسة الشرعية التي تقتضيها ظروف الدعوة والتي تقتضيها أيضاً ظروف الحياة كلها .

من الضرورات أيضاً أن لا يزوج الإنسان بنفسه إلى التهلكة ، قال تعالى " **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** "

فكون النبي أن يأتي ويدعوا دعوته دون أن يكون لديه قاعدة إجتماعية يأمن استئصالها واستئصال الدين هذا يخالف السياسة الشرعية ويخالف القرآن الكريم .

لذلك علينا أن نعتبر ونتعض بتدرج النبي عليه أفضل الصلاة والسلام بدءاً بالسرية إلى نهاية الدعوة ..

لو سألنا أنفسنا سؤالاً : **لما لم يباشر النبي عليه الصلاة والسلام بالدعوة؟!؟**

إنه هو يعمل حساب المتلقي ، فصعب على الانسان أن يتنازل حالا عن معتقده ، فالتنازل عن المعتقد ليس أمراً ميسوراً وسهلاً ، لا بد من التوطئة والتقدمة والأخذ بالأسباب ، ولهذا لم يشأ النبي عليه أفضل الصلاة والسلام أن يفاجئ قريش بهذه الدعوة دونما قاعدة إجتماعية مؤمنة ومسلمة .

فبدأ بإيجاد أولاً قاعدة مسلمة من المسلمين المضمون اسلامهم قبل أن يفاجئ قريش بهذه الدعوة ثم يحصل له ما يحصل ثم تنتهي الدعوة دونما غطاء مجتمعي مسلم ، لذلك لم يفاجئ النبي بالدعوة دون أن يكون لديه هذه القاعدة من المسلمين .

تلافياً لوقوع المفاجآت على قريش والمفاجأة تؤدي إلى سلوك غير محمود لذلك النبي عمل حساب لما سيحدث نتيجة لهذه المفاجأة فاحتاط بأن كون نواة وقاعدة للمجتمع الإسلامي .. ففي مكة المكرمة يؤمن أن يستأصل الإسلام بعد اعلان الدعوة ، وبدأ بدأ النبي دعوته سرّاً ولمدة ثلاث سنوات .

لم يدعو إلا من كانت تشده إليه صلة قرابة أو معرفة سابقة ، النبي بدأ يدعو من يظن بأنهم سيستجيبون لهذه الدعوة ، ويعرفهم ويعرف فطرتهم وسلامتهم أنفسهم ، لذلك بدأ بدعوة سيدنا أبوبكر رضي الله عنه لأنه يعرف سلوكه وأفعاله وأعماله فأسلم على الفور دونما تردد أو إبطاء ، لم يقل كيف ولا متى ، وإنما أسلم على الفور وهذه دلالة على صفاء النفس ونقاء الفطرة والقرب من القيم والمثل والأخلاق ، أيضاً سيدنا علي برغم صغر سنة تجاوب على الإطلاق وأسلم دونما تردد أو إبطاء ، إذن كان ظن النبي صلى الله عليه وسلم صحيحاً وحدسه صحيحاً ، وكان اختياره اختياراً صحيحاً أن بدأ باختيار

هذه النخبة وهذه الثلة كي تكون قاعدة للمجتمع المسلم في مكة المكرمة ، ثم بدأ بالمضنون بأنهم سيكونون قاعدة صلبة للمجتمع المسلم في مكة المكرمة وغيرهم من الاقرباء فتكون عند النبي صلى الله عليه وسلم نواة اجتماعية من المسلمين ، سواء كانوا من عامة المسلمين أو من الناس المستضعفين في مكة أو من علية القوم ، يعني القاعدة الأولى والنواة الأولى التي تكونت في المجتمع المسلم في غطار الدعوة السرية التي مكثت ثلاث سنين خليط من علية القوم وما بين الناس المستضعفين في مكة المكرمة ، وأكثر الذين اتبعوه من الضعفاء والمساكين إضافة إلى من تبعه من علية القوم ، إذن مجتمع مسلم متنوع ونواة اجتماعية متنوعة من أطراف المجتمع في مكة المكرمة .

لماذا أكثر الذين أسلموا هم من المستضعفين والضعفاء والمساكين ؟

لأن هذه الظاهرة هي سمة كل الأنبياء السابقين ، جميع الانبياء السابقين الذين يتبعونهم من من الضعفاء والمساكين ، لماذا ؟

لأن هذا هروب من سلطان الإنسان إلى سلطان الله سبحانه وتعالى .

هذه هي الفطرة السليمة أن تهرب من سلطان الناس إلى سلطان الله تعالى .

فهناك المستضعفين مهانين بما يخالف فطرهم وعقولهم وكرامتهم الإنسانية ، فحينما يجدوا دعوة الأنبياء تنقلهم إلى كرامتهم الإنسانية وتخرجهم من سلطة الجور إلى عدل الله سبحانه وتعالى لا شك أنهم يسارعون إلى اعتناق هذه الأديان .

الذين أسلموا في بادئ الأمر انما يدل هذا على نقاء أنفسهم وسماحة فطرتهم ورغبة في ممارسة فطرتهم كما تقتضيه الفطرة .

اختار النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ابن أبي الأرقم لتكون مقراً لهذه القلة الأولى من المسلمين يلتفون فيها ويتعلمون من رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام . اختارها كي يبلغ هذه الشريحة المجتمعية مانزل إليهم ، ويعلمهم الإسلام والإيمان فهو معلم البشرية الأول ، فكانوا يجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ويتوافدون على داره ويجتمعون بالنبي صلى الله عليه وسلم .

لماذا اتخذ النبي عليه الصلاة والسلام هذه الدار للمسلمين ؟

من أجل أن يكون القاعدة الإيمانية التي لا تتكسر عليها الدعوة الإسلامية ، قاعدة اسلامية صلبة تقاوم ما هو متوقع من المجتمع الكبير ، فهذه أقلية تدرج تحت المجتمع الكبير ولكنها شريحة يؤمن استئصالها عند اعلان الدعوة .

فكان النبي يجتمع بهؤلاء في دار الأرقم بن أبي الأرقم ليعلمهم الدين وليبلغهم ما نزل إليهم وليكون نواة اجتماعية يؤمن من خلال هذه النواة عدم استئصال الاسلام بالكلية .

ولهذا نرى لاحقا ان قريش برغم مافعلت من أساليب التعذيب المنكرة ، وتفننت في أساليب الإيذاء ، لم تستطع أن تستأصل هذه النخبة هذه النخبة هذه النواة .

ضربت وفعلت وعذبت واضطهدت وأذت ولكنها لم تستطع أبداً أن تستأصل هذه النخبة ولم تستطع أن تقتلهم ، ولم تستطع حتى أن تقلصهم .

كل يوم يزيد الإسلام ، وهذه في الواقع منهجية قام بها النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة ، ولهذا علينا أن نعتبر ونلتزم بهذه المنهجية النبوية في الدعوة ، وفي أعمانا كلها وخصوصاً في دعوة الآخرين ، يجب أن تكون الدعوة منهجية ومرتبطة وحسب مقتضيات الأمور والأحوال كيلا يقع المرء في أمر ينهي عمله المراد أن يؤديه .

ما هو وجه السرية في الدعوة !؟

الواقع ان النبي لم يفعل ذلك خوفاً على نفسه وإنما فعل ذلك لما تقتضيه السياسة الشرعية ولأن ذلك كان بوحى من الله لكي تستمر الدعوة ولا توأد في مرحلتها الأولى .

ولابد من الأخذ بالأسباب والمسببات

شملت الدعوة السرية أقرباء النبي وآخرون من عموم قريش ..

بعد أن أسس النبي هذه النواة الصلبة التي تهاوت بعدها كل قدرات قريش وكل ضغط قريش ، وقريش رمت بكل ثقلها كي تستأصل هذه النواة فلم تستطع ، كلهم ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٠ ، شخص بالكثير وقريش ما استطاعت أن تنتزع الإسلام منهم ، عذبتهم وأذتهم ولكنها لم تستطع حتى أن تقضي عليهم ..

وهذا يدلنا دلالة قطعية على جمال وعظمة هذه المنهجية عند النبي صلى الله عليه وسلم بأن بدأ بالدعوة السرية ولمدة ثلاث سنوات من ثلاث وعشرين سنة أي بنسبة ١٠% من الدعوة .

المرحلة الثانية : الدعوة الجهرية

بعد ان اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم على وجود نواة اجتماعية مسلمة وقاعدة اسلامية صلبة يؤمن عدم استئصالها بدأ بالدعوة الجهرية بناء على الأمر الإلهي الكريم بأن يبدأ الدعوة جهراً .

لم ينتقل النبي من الدعوة السرية إلى الجهرية إلا بعد أن أخذ بأسباب عدم استئصال الدعوة جملة واحدة .

عندما صدع بالدعوة بعد أمر ربه بذلك .. ربنا أمره في قوله " فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين " ، " وأنذر عشيرتك الأقربين " اذن هنا الأمر القطعي بإعلان الدعوة .

نادى النبي صلى الله عليه وسلم في القوم في قريش بأن صعد على الصفا وأخذ يقول بأسلوب منهجي يحاكي القلوب والعقول ومن خلال هذا الأسلوب الذي تحدث به النبي صلى الله عليه وسلم يدين قريش أنفسها ولذلك انتزع من قريش التصديق قبل أن يعرض عليهم ماذا يريد أن يقول ، بعد ان صعد على الصفا نادى وأخذ يقول :

" يا بني فهر ، يا بني عدي " فأخذ الناس يفدون على الصفا ثم قال قولته :

" أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً خلف هذا الوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟

فقالوا ما جربنا عليك كذباً ، قال : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد "

يقول أبو لهب : **تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا؟! فنزل قوله تعالى " تبت يدا أبي لهبٍ وتب "** .

الشرح : بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالإستفهام وهذا الأسلوب يدل على التنبيه ، الإستفهام من أجل تحضير النفس واستعدادها ورغبتها في أن تسمع ما يقال ..

فالنبي بدأ يسألهم بقوله أرايتم أخبرتكم أن خيلاً خلف هذا الوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟

يعني فيه تنبيه وشحذ للأفكار واشتياق لما يقول ، وأراد النبي بحكمته أن يضع قريش أمام واقع تصدقه فقال ذلك ..

والجميع قالوا : انت محمد الصادق الأمين .. ما جربنا عليك كذبا .. وانت منا وفينا
ونعرف خصائصك العامة .

فهنا أخذ منهم الشهادة له بأنه صادق .. انظروا كيف أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم
ويجب ان نتخذ منه قدوة .

بعد أن قالوا ماجربنا عليك كذبنا .. وماذا ستقول وانت صادق .. فقال لهم إذن أنا رسول
الله عليكم ..

فرد عليه ذلك الشقي أبو لهب وقال **تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا؟!!** يعني تجمعنا كلنا
وتجمع قريش وتنادي في بني فهر وبني عدي ونترك أعمالنا كي تقول هذا الهراء !! تباً
لك سائر اليوم ، يعني تبت كلمة تبكيت وتوبيخ واستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم .

طبعاً لم يكن هذا موقف قريش بالكلية فكان هناك من لم يقل شيئاً ، وهناك من أسلم في
ذلك الوقت ، ولذلك قول الله تعالى " **تبت يدا أبي لهبٍ وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب**
*** سيصلى ناراً ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد "** لماذا قال
تبت يدا ؟ لأنه قال للنبي : تبت لك سائر اليوم .

انظروا الى حسن اسلوب النبي وحسن اختيار السؤال .

أصعب ما يواجه الأمم الحروب ، فلو ان اخبرهم النبي ان خلف هذا الجبل جيشاً جراراً
وهو قريب منكم جداً ، يعني هذا شيء لا يكاد يصدق ، أي واحد راح يجي ويقول ان
هناك جيش يريد أن يغير عليكم ، والجيش لابد أن يعرف الناس مسيرته وأن يعرف هل
أتى من مسافات بعيدة والتجهز للهجوم ، لايمكن أن يأتي هذا الجيش مفاجأة دون أن
نحس بانه على الأبواب !!

لأن جاء النبي بغرابه .. وقال لو أخبرتكم عن شيء غريب لا يصدق عادة ..

لو أن أي شخص من قريش قال بأن هناك خيل بتغير علينا : من أين جاء هذا الجيش
ومتى ومتى تهيأ وما فصله ولماذا لم نعرفه قبل أن يصل إلينا بكذا كيل !!

كيف لم نعلم به إلا بعد أن فاجأنا؟!!

اذن فالنبي انتزع منهم تصديقه بأنه صادق ..

ونزلت الآيات دلالة على ان ابو لهب لا يمكن أن يسلم ربنا حكم عليه أنه في النار وأن زوجته في النار ، وسمع هذه الآية بأذنه وقرأها ، ولو أراد أن يكذب النبي لقال له (طيب انا خلاص راح أسلم) ناقض القرآن وقال سوف أسلم ..

لكن مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى .

إذاً : هو عدوا الله وعدوا رسوله صلى الله عليه وسلم .

في الواقع مفاجأة قريش بهذه الدعوة ماذا نفهم منها؟؟

لم تستجب قريش لهذا النداء ، المفاجأة والرفض ماذا تعني ؟

تعني ان النبي صادق ، لماذا ؟

لأن هناك المستشرقون قالوا ان دعوة محمد هذا انما جاءت تلبية لمطالب قريش ، فيما مضى كانت قريش تطمح في السيادة والرياسة والسيادة على العرب والعجم أجمع .

كان هذا هدف وآمال قريش منذ القدم ، ولهذا جاءت دعوة محمد استجابة لرغبة قريش في السيادة ، ولهذا سادت الدعوة في العرب والعجم .

ولكن بدون أن يشككوا في مصداقية النبي عليه أفضل الصلاة والسلام ، ولكن هذه المفاجأة التي فاجئ بها النبي عليه الصلاة والسلام قريشاً بجمع كبير منهم ثم رفضوه ، هذا يعني أنهم لم يكن لديهم أية آمال ولا طموحات مثلها النبي لكي يسيطروا على العرب وعلى العجم .

ماكان هذا صحيحاً ، ومجرد هذه المفاجأة يردوا على هذه الشبهة رداً حازماً ورداً قطعياً بأن هذا النبي نبي من عند الله سبحانه وتعالى .

ان النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يدعو قريش أعاب عليها بأنها تعبد الأصنام ،

وعباداة الأصنام تدل على ماذا؟!!

تدل على إلغاء العقل .. فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء ليعيب عليهم هذا التقليد الأعمى ، وليعيب عليهم أيضاً إلغاء عقولهم واتباع التقاليد ، تقليد أعمى هكذا بدون استعمال العقل وبدون استعمال الفطرة .

العقل والفطرة يرفضان أن تعبد الأصنام ، يرفضان أن تعبد شجرة أو ملك أو نجم أو كوكب ، الفطرة والعقل السليمين يرفضان ذلك ..

ولهذا النبي عاب عليهم أنهم يلغون عقولهم ويعبدون الأصنام جرياً على ماكانوا عليه آبائهم والتزاماً بالتقاليد .

ولهذا كان النبي يعيب عليهم ويقول لهم : ان هذا الدين الذي جنئت به إنما هو دين عقل ودين فطرة ليس دين تقاليد ..

والعقل هو مناط التكليف ، والإسلام ينطبق مع العقل السليم والفطرة السليمة ، أما مجرد ان أقلد بدونما عقل أو فكر فهذا يتنافى مع الدين ، يتنافى مع الفطرة ، يتنافى مع العقل أيضاً ..

عدم استجابة قريش لهذا يرد رداً قاطعاً على من قال إن دعوة النبي إنما كانت تمثل تطلعات وآمال العرب في السيطرة والإمارة .

فلو كان الأمر كذلك لاستجابت قريش لهذا لأنه يحقق رغبتها وآمالها .

دعوة النبي لقريش : لتحرير عقولها وسلوكها من أسر التقاليد الموروثة .

وفي هذا القطع انما هذا الدين هو دين العقل والمنطق لا دين الالعصبية والتقليد الأعمى والعواطف .

ليس هناك تقاليد اسلامية ، ، لا يوجد شيء عندنا في الدين اسمه تقاليد ، الذي عندنا في الإسلام تعاليم وأحكام

بل اتباع للمبادئ والهدي الإسلامي ، أتبع النبي أتبع العلماء لأن ما جاءوا به مبني على العقل وليس مبني فقط على مجرد التقليد .

فما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هي مبادئ وأخلاق وعقائد ، فنحن نتبعه لأن الإسلام مبني على العقل وليس على العاطفة أو مجرد التقليد .

مرحلة القتال :

لم يبدأ النبي قتالاً قط من أجل ان يدخل الناس في الإسلام " لا إكراه في الدين "

بالنسبة لمكة المكرمة إن النبي بدأ دعوته فيها بدونما قتال وبدونما عنف لم يأتي الإسلام بالسيف وإنما جاء الإسلام بالسلام ، جاء الإسلام بالهدى والنور ، النبي قد تعرف في مكة بالأذية وتعرض صحابته لأذى عظيم ، كلنا نعلم بأن قريش ضيقت وحاصرت النبي ثلاثة سنين ولا يجدون ما يأكلون في الشعب حتى أنهم أكلوا أوراق الشجر ، حتى يقول أن لأحدنا يضع كما تضع الشاة ..

أذت النبي بشتى أنواع العذاب لكن لم يسجل التاريخ بأن النبي قاوم قريش بالمقاومة المسلحة ، وإنما كان يدعو على نور وعلى بصيرة ويخاطب النفوس ويخاطب العقول ويخاطب الفطر السليمة وبالذعوة المبنية على القواعد الشرعية وعلى المنهجية في الدعوة ، ليس هذا هو هدف الإسلام القتال وليس من مبادئ الإسلام أن تقاتل الناس كي يسلموا فربنا يقول " لا إكراه في الدين "

عندما كان النبي في مكة لم يقاتل لسببين :

- ١- لأن ليس ن منهج الإسلام أن تقاتل الناس أن يسلموا
- ٢- النبي لم يكن قادر على القتال فالمجتمع في مكة مجتمع أقلية مندرج تحت أكثرية فليس من المنهجية أن تقاتل هؤلاء بالقتال المسلح فهي ليست ن مقتضيات السياسة الشرعية أن تبدأ بالقتال المسلح وأنت ضعيف ليست لديك قوة .

متى قاتل النبي ؟

قاتل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان هاجر الى المدينة المنورة وبعد أن أصبح قوياً في المدينة المنورة وبعد أن أصبحت لديه دولة في المدينة المنورة ، ولم يبدأ بالقتال نهائياً إنما قاتل الذين قاوموه ، الذين أرادوا أن يقتلوه ، هؤلاء هم الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم بقدر ما قاوموه كما فعل مع بني قريضة وبنو قينقاع وبنو النضير .

كان النبي يدافع عن دينه وعن الذين معه وكل غزواته كانت دفاعية .

كانت هذه هي مراحل الدعوة الثلاث :

- ✚ الدعوة السرية
- ✚ الدعوة الجهرية في مكة المكرمة بدونما قتال
- ✚ الدعوة الجهرية في مكة المكرمة مع قتال من تأمر على النبي صلى الله عليه وسلم وارانوا أن يقتلوه .